



ساركوزي ... والأقصر

لواء أ.ح. دكتور / سمير فرج

سبع سنوات قضيتها في الأقصر، محافظاً لها ... شهدت فيها أحداثاً كثيرة ... بعضها يعلق بالذاكرة، ويعود ليطفو من وقت لآخر ... ولعل من أكثرها زيارة الرئيس الفرنسي، آنذاك، ساركوزي للأقصر في 2007. هذه الزيارة التي بدأت بمكالمة من الرئيس مبارك، يبلغني فيها بزيارة الرئيس ساركوزي للأقصر، لقضاء عطلة الكريسماس. وكانت توجيهات الرئيس واضحة من حيث تقديم كافة التسهيلات والرعاية والتأمين التي تلقى رئيس دولة فرنسا، وتلقي بعمق العلاقات المصرية معها، خاصة وأنها أول زيارة له لمصر. وبمجرد أن انتهت مكالمة الرئيس، بدأ الإعداد الفوري للزيارة. فبدأت أقرأ وأذAKER عن الرئيس ساركوزي ... شخصيته، أفكاره، هوالياته ... وهي عادتي عندما استقبل أحد كبار الشخصيات. وزادت قراءاتي عن كارلا بروني، زوجته القادمة، خاصة أن هناك من أذاع خبر مرافقتها له في تلك الزيارة.

وفي صباح اليوم التالي، كان أمام مبني المحافظة عدداً كبيراً من رجال الإعلام، والمراسلين الصحفيين، والكاميرا التليفزيونية، للتأكد من خبر مرافقته كارلا بروني للرئيس الفرنسي.

وتجدر بالذكر أن فرنسا كان لها أكبربعثة أثرية في العالم في الأقصر، وكانت البعثة مختصة بمعبد الكرنك ... أكبر آثار العالم ... وقد وصل عدد أعضاء تلك البعثة، في يوم من الأيام، إلى نحو 40 عضواً، يقيمون في عدد من المباني المطلة على نهر النيل، فيما يشبه مجمعاً سكنياً خاصاً بهم، إلا أنني قمت بإزالة كل تلك المباني، لأتيح الروية في ساحة الكرنك أمام معبد حتشبسوت في البر الغربي ... لا يعيد وضعاً كان قائماً منذ أربعة آلاف عام. وقد كان لهذه الإزالة ردود أفعال كثيرة، وصلت إلى حد تقديم شكوى من فرنسا إلى اليونسكو، فجاءت لجنة من اليونسكو إلى الأقصر لبحث الأمر، وانتهت إلى تأييد قرارى بالإزالة، وتم نقل ذلك المجمع السكنى إلى أحد الأجناب، وعاد الكرنك بساحته إلى ما كان عليه منذ آلاف السنين.

وتوجهت إلى المطار لاستقبال الرئيس ساركوزي، وهناك سألت مندوب المراسم الفرنسي عما إذا كان الرئيس مصطحبآ آخرین خلال تلك الزيارة الغير رسمية، إلا أن إجابته أوضحت أنه شخصياً ليس لديه خبر يقين. وهبطت الطائرة الصغيرة على أرض مطار الأقصر، ونزل منها الرئيس ساركوزي، و كنت في استقباله، ثم تقدمت الفتاة الصغيرة، مرتدية الزي الفرعوني ذو النقش والألوان المبهجة، وقدمت الورود للضيف العزيز. وفجأة، ظهرت خلفه كارلا بروني، فندارك الرئيس الموقف وقدم لها بوكيه الورد، ثم قدمها لي بالفرنسية قائلاً Ma Fame مشت على السجادة الحمراء، متوجهة إلى السيارة لتركيب من ناحية اليمين، فوجهها مندوب المراسم الفرنسي إلى الناحية الأخرى من السيارة، وهو ما يعني أنها المرة الأولى التي تصاحبه فيها في سيارة الرئاسة.

وسألت الرئيس ساركوزي عن تفضيلاته في بدء برنامج الزيارة، فقال أنه يريد الذهاب إلى معبد الكرنك، وتحركنا على الفور، ونزلنا إلى ساحة المعبد من ناحية النيل، حيث كان في استقباله أعضاء البعثة الأثرية الفرنسية. وقبل أن يصافحهم، استعلم مني عن مقر إقامتهم السابق، الذي أزليته، وكذلك المقر الحالي. وقد كنت متوقعاً تماماً لهذا الحوار، ومستعداً له بالصور التي تجيب عن تساؤلاته ... ففوجئت به يعانقني ويجهنوني على صواب القرار، مضيفاً أن الحفاظ على تاريخ مصر مسؤولية وواجب على الجميع. ثم تقدم لمصافحة أعضاء البعثة الفرنسية، قائلاً لهم أن المحافظ قد فعل ما توجه عليه مسؤوليته لصالح الآثار المصرية، ووجودنا هنا لمساعدته على ذلك.

واستأنفت للعودة إلى مكتبي، وتركت الرئيس مع بعثته الفرنسية، يشرحون له الكرنك أكبر أثر في العالم. والحقيقة أن الأقصر، في ذلك الوقت من العام، اعتادت أن تكون فنادقها كاملة العدد، ومن هنا كانت التعليمات واضحة للأمن، بـألا تزعج هذه الزيارة الأفواج السياحية، خاصة قفل الطرق، أو إيقاف، أو تعطيل أي تحرك للسياح. ولقد وصلت نسبة الإشغال إلى أن الغرف الملكية في فندق الونتر بالاس العريق، كانت كلها محجوزة من قبل، وهو ما تطلب الكثير من الجهد لتوفير الأجنحة الملكية للضيوف والمرافقين له.

ثم، في الخامسة مساءً، جاءني خبر بأن الرئيس الفرنسي يريد ممارسة رياضة الجري، فبدأت البحث عن أقرب الفنادق القريبة، والمؤمنة لاقتراحها عليه. فإذا بالمالكمة التالية تقيد بأن الرئيس ساركوزي قد نزل بالفعل، مرتدياً الشورت والتشرت، وبدأ الجري على كورنيش النيل في اتجاه معبد الكرنك، يصاحبه فرد أمن فرنسي، وضابط مصرى من الحرس الجمهورى مخصص لحراسته. ومرت ثلاثون دقيقة، كانت من الأصعب في حياتي ... وقف فيها في شرفة مكتبي متابعاً له يجري وسط الأهالى والسياح، يلوحون له ويرد التحية ... وقد كررها مرتين ذهاباً وإياباً ليكمل ثلاثون دقيقة من الجري.

وفي المساء، التقىته على العشاء، فقلت له، مداعباً، "عند عودتك إلى فرنسا، أرجوك أن ترسل لي أدوية لعلاج القلب، مقابل ما فعلته بي عندما قررت الجري على الكورنيش، دون إعداد مسبق للتأمين"، فرد، ضاحكاً، "أعلم تماماً شعورك في ذلك الوقت، إلا أن المفاجأة هي أكبر عناصر التأمين، إضافة إلى جمال شعب مصر، وترحيبه بي بابتسامة ساحرة، قد شجعني على الجري دون قيد". واكتشفت طوال حديثنا على العشاء، بأنه قارئ جيد للتاريخ المصري، ويعلم الكثير عن الأقصر والتاريخ الفرعوني، وقال أن الفرنسيون يعشقون التاريخ المصري الفرعوني، مضيفاً أنه يعتقد أن أجمل هدية لزوجته كارلا، ستكون قضاء شهر العسل في الأقصر، والتمتع بنهر النيل الساحر.

ودعاني في اليوم التالي، لتناول الغداء معهم، في فلوكة كبيرة في نهر النيل، مثل المركب التي ظهرت في فيلم عمر الشريف وهند رستم "صراع في النيل"، وقد اعتذرنا عن تلبية الدعوة في آخر لحظة، نظراً لحجم الإعلام المترقب لهم، والذي يفوق تخيلات أي إنسان. وعندما ظهرت صورته ومعه كارلا، على ضفاف النيل، ومن خلفهم معابد الأقصر، على غلاف أكبر مجلة

فرنسية Paris Match، قال لي البعض، أن هذه الصورة تساوي ما قيمتها 50 مليون يورو دعاية للأقصر ، والسياحة فيها.

وفي يوم المغادرة، وعلى سلم الطائرة، في مطار الأقصر، اصطفت فرقة موسيقى الأرغون الصعيدي لتقديع الضيوف، وبدلاً من أن تعزف الفرقة لمدة دققتين، كما هو مقرر لها، ظلت تعزف لمدة خمسة عشر دقيقة؛ فعلاوة على أن كارلا بروني عارضة أزياء، فهي أيضاً مغنية محترفة، ولقد انبرأت كثيراً بهم.

وعند عودتهم إلى فرنسا، وصلني خطاب شكر، كان نصه "لقد زرت بلاد العالم ... لكن الأقصر لها مذاقاً خاصاً ... فلن أنسى المعابد الفرعونية ... ولن أنسى الغذاء على المركب في النيل والأشرعة البيضاء ... ولن أنسى الرجل الأسمر، بأسنانه الذهبية، ممسكاً بالدفة، وهو يقول لي أشربي من مياه النيل لتعودي مرة أخرى لأرض الفراعنة ... وأخيراً فرقة المزمار الصعيدي ... إن بلادكم جميلة ... فافخروا بها" ... إمضاء ساركوزي وكارلا بروني.

أيها المصريين ... نحن نملك أغلى كنوز الدنيا ... لكننا لا نعرف كيف نحافظ عليها ... أو نستثمرها ... لك الله يا مصر !

Email: sfarag.media@outlook.com